رحلة الحجاز

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله تعالى ان وفقني في هذا العام لتلبية دعوة أبينا ابراهيم ، عليه وعلى آله الصلاة والتسليم ، بأداء فريضة الحج ، واكمال المناسك بالعج والثج، ثم أحمده عودا على بدء ان وفقني للوفاء لوالدتي بالحج معها . بعد ان حالت دونه الاقدار بالاعذار تارة من قبلي وتارة من قبلها ، بل أحمده قبل ذلك كله أن هخر من سخر من الدول لازالة ما أحدثته الحرب الاوربية العامة من موانع السفر بالبحار الى الحجاز ، ولتكلف إعداد السفن لحمل الحجاج ، بعد أن وفق الشريف أمير مكة للقيام بأمر استقلال العرب في تلك الاقطار، ولمعاهدة تلك الدول المتصرفة في جميع البحار ، فسبحان من سخر من شاء لما شاء بتوفيق أقدار لأقدار، وأظهر حجته على الخلق في كل عصر من الاعصار، من آيات يزداد بها إيمان المؤمنين، ويحق بها القول على الجاحدين ، — والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين، الامي الذي أرسل لتعليم الاميين والكاتبين ، العربي المبعوث لتوحيد الامم باللغة والدين، وعلى آله وأصحابه الكرام ، الذين أخذوا عنه المناسك وأحيوا شعائر الاسلام

أما بعد فان ركوب الالوف من المسلمين لمتون البحار ، وجذبهم من أقصى المغرب والمشرق لاداء فريضة الحج في هذا العام ، يصح ان يعد من تأييد الله تعالى للاسلام ومن المعجزات الدائمة لخليليه ابراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام، ومصداق الحديث «ان الله سيؤيد الاسلام برجال ما هم من أهله» وقد ورد بلفظ آخر صرحوا بصحة سنده. أوليس خذلانه — جلت قدرته — لحكومة الاتحاديين الملحدين ، بما أقدموا عليه من التنكيل بالعرب وانتهاك حرمات الدين، وتوفيقه — عمت رحمته — لأمير مكة ومن معه من المسلمين، بالخروج على البغاة المارقين، وتسخيره — بهرت حكمته — لدولتي الفرنسيس والبريطانيين الكتابيين ، بحمل الحجاج من الغرب والشرق الى البلد

الامين = أليس هذا كله أقدارا تتابعت ، وأسرارا تشايعت، فانجلت عن استجابته سبحانه وتعالى لدعوة ابراهيم خليله ، وإحياء شريعة محمد عبده ورسوله ، بعد ما كاد يظن ان أسباب الحرب الظاهرة ، حالت دون تلك الدعوة الطاهرة ، (١٤ : ٢٩ ربَّنا إني أسكنتُ من ذُرِّيتي بوادٍ غير ذي زرعٍ عند بيتكَ المحرَّم ربنا ليقيموا الصلاةَ فاجعلْ أفئدةً من الناسِ تهوي اليهم وارزقهم من الثمراتِ لعلهم يشكرون) بلى وانها لتؤيد ماروي عن ابن عباس، من تلبية الناس لتلك الدعوة في عالم الارواح، اذ قام عليه الصلاة والسلام بعد فراغه من بناء البيت العتيق، ممتثلا قول الله له (٢٢: ٢٥ وأذِّن في الناس بالحجِّ يأتوكَ رِجالاً وعلى كلِّ ضامرٍ يأتينَ من كلِّ فجٍّ عميقٍ ٢٦ ليشهدوا منافعَ لهم ويذكروا اسمَ الله في أيامٍ معلوماتٍ على ما رزقهم من بهيمة الانعام ، فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ٢٧ ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوَّفوا بالبيت العتيق) (*) فقد روي عنه ما معناه أن الله تعالى أمره أن ينادي بذلك وقال له عليك النداء وعلي البلاغ . وأنه قام في مقامه (المعروف الى الآن بمقام ابراهيم) وقيل في الحجر وقيل على الصفا وقيل على أبي قبيس فنادى يا أيها الناس ان الله قد اتخذ بيتا فحجوه — فاجابه كل من كتب الله له الحج الى يوم القيامة قائلين «لبيك اللهم لبيك» فان لم تكن هذه الاجابة حقيقية في عالم الارواح ، ولا عبارة عن الاجابة بالقوة ولسان الاستعداد ، فهي تمثيل لما تظهره مجاري الاقدار، من وراء حجب الاستقبال، فتشاهده الاجيال في كل حول من الاحوال

لقد كان النزوع الى حج بيت الله الحرام ، هوى ساكنا في القلب يحركه الموسم في كل عام ، وتحول موانع الاقدار دون جذبه البدن الى تلك المشاعر العظام،

---

*) التأذين والاذان بالشيء النداء للاعلام به . والرجال جمع راجل وهم المشاة ، والمعنى يأتوك مشاة وركبانا على كل ضامر من الابل وغيرها وهو المهزول من طول السفر ، ويأتين صفة لكل ضامر . والفج الطريق والمسلك المنفرج بين الجبال ونحوها، والعميق البعيد الغور أو المدى ، والايام المعلومات يوم النحر وأيام التشريق بعده ، وكذا يوم عرفة في قول، والامر بالاكل من لحوم ذبائح الهدي التي تذبح بمنى في تلك الايام — ومثلها الاضاحي في سائر البقاع — للندب عند الجمهور وللوجوب عند طائفة . والتفث المناسك ، أو التحلل من الاحرام الذي يزال به الوسخ بالحلق والطيب اذ أصل التفث الوسخ . والمراد بالطواف هنا طواف الافاضة الذي تتم به أركان الحج فيتم التحلل منه .

وأهمها ماكان أولا من عدم الامن على النفس من ظلم الحكومة الحميدية ، ثم ما هو شر منه وأنكى من إلحاد الحكومة الاتحادية، ومنها ما كان في بعض السنين من عدم استطاعة السبيل ، أوعجز السيدة الوالدة عن الرحيل

فلما دعت الحكومة المصرية المسلمين في هذا العام الى الحج بألسنة الصحف المنشَّرة ، والتزمت حمل من يحج الى جدة ذهابا وايابا بأجرة قليلة ، تاركة ما كانت تتقاضاه من كل مريد للحج من التأمين المالي ، وعلمنا أن هذه الدعوة مبنيـة على تأمين الشريف أمير مكة للبلاد، وازالتـه كل ما كان هنالك من أسباب العيث والفساد ، — صادفت هذه الدعوة في أنفسنا أتم الاستعداد والاستطاعة ، وانتفاء جميع الموانع دون هذه الطاعة ، بل تأكدت داعية الفريضة ، بما يرجى في اثناء أدائها من واجب النصيحة ، التي تقتضي الحال الحاضرة أداءها لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ، فقد علمنا أن طريق الحج ، قد مهـد لمسلمي الشرق والغرب ، الذين حالت بيننا وبينهم الحرب ، فلا سبيـل للتواصل بيننا وبينهم من الطاق ولا من الباب ، ولا للتناصح بخطاب ولا كتاب ، ونحن الآن أحوج ما كنا الى التناصح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر ، والتعاون على ما يجب من التقوى والبر ، فهـل تتوانى في أداء هذه الواجبات، وقد اتيحت لنا في أشرف الامكنة وأفضل الاوقات، إذ تؤدي المناسك في بيت الله ومشاعره العظام منًى والمزدلفة وعرفات ؟

نعم ان حكومة هذه البلاد آذنتنا بإباحة الحج في هذا العام ، فذكرتنا بإيذانها به أذان أبينا ابراهيم عليه الصلاة والسلام ، فلبى القلب داعي الله قبل تلبية اللسان وسعي الاقدام، : «لبيك اللهم لبيك لبيك ، لاشريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لاشريك لك » فلم نكن ممن يثنيهم عن هذه التلبية إرجاف المرجفين، ولا خرص الخراصين، ولا إفك المذّاعين. الذين أذاعوا في طول البلاد وعرضها ان من يقصدون الحج في هذا الاوان ، يلقون بأيديهم الى التهلكة بما أعد لهم من مدافع الترك وطيارات الالمان ، ولا قولهم إن صاحب المنار مرسل مع وفد العلماء الذين أرسلهم سلطان مصر لمبايعة شريف مكة بالخلافة ، ولا قول بعضهم إنه هو الذي يريد ذلك دون العلماء ولا قول بعضهم بالعكس ، فالفرائض والواجبات لاتترك

لتقوُّل غوغاء الناس، ولا لاوهام العوام ولا الخواص ، وحسبي ان أعلم انني أحج لوجه الله تعالى منفقا من مالي الذي أعتقد حله وقد ادخرته لذلك في هميان منذ سنين، وانني ابتغي زيادة الاجر عند الله تعالى بصحبة والدتي وخدمتها في هذه السبيل ، وبما أبغيه من الازدياد من العلم النافع والاختبار والاستفادة من أهل العلم والبصيرة ، وبما أنويه من النصيحة لكل من أرى الفائدة في نصحه من اخواني المسلمين في تلك البقاع الطاهرة الشريفة ، بما أرى فيه الخير والمصلحة لامتي في أمري دينها ودنياها، لا أحابي في ذلك شريفا ولا أميرا ، ولا أغش فيه سوقة ولا فقيرا، وانما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ مانوى. كما قال الصادق المصدوق صلى الله عليه وآله وسلم.

على ان حيل الكذب — كما تقول العامة — قصير ، ولا سيما اذا كان في شيء كالحج موعده قريب ، فسفر الحج في هذا العام كان أقل من خمسة أسابيع ، فما أسرع ما ظهر كذب تلك الاقاويل

لم يبق أحد في مصر الا وقد علم ان حجاج بلاده قد دخلوا المسجد الحرام بمشيئة الله تعالى آمنين ، وأدوا مناسكهم وقضوا تفثهم محلقين رؤوسهم ومقصرين ، وعادوا الى أوطانهم سالمين مغبوطين ، وان الشريف لم يدع أحدا من الحجاج الى مبايعته ، ولا يزال الخطباء يدعون للسلطان العثماني في بلاده ؛ وان صاحب المنار لم يكن بينه وبين وفد العلماء السلطاني خلاف في امر المبايعة المخترعة بمصر ولا في غيره، وانه عاد مع والدته الى أهله وولده وموطن عمله كسائر الحاج ، اذ لم يذهب مدعوا الى منصب قاضي القضاة ولا مشيخة الاسلام ، وها هو ذا يقص خبر رحلته ، على جميع من يطلع على مجلته ، بما يمهد قراؤها من صدقه وصراحته . اذ كان — ولا يزال — يشرح ما طرأ من الفساد على الرؤساء والحكام ، وما سرى من الضلال والخرافات الى العوام ، غير مبال بسخط الخاصة، ولا مهتم باستمالة العامة ، (والله يقول الحق وهو يهدي السبيل) :

(لها بقية)